ما بين نور العلم - ورسالة المعلم كمال جنبلاط

لقد كان أغنى القرون على الإطلاق في السلب والإيجاب، القرن العشرين، الذي حمل إلى الحياة ما عجزت عنه العصور كلها، وسلب منها ما لم يتصوره عقل أبداً.

جملة من الرسائل قد تحققت في ذاك القرن، منها الرسائل التي جلبت إلى الإنسانية ويلات ومحن، ومنها رسائل تسامت بإنسان ذلك العصر إلى مواقع في غاية العلو والتصور.

وقد تكون من أغنى تلك الرسائل في ذلك القرن العجيب، رسالة غريبة، لرجل غريب، رسالة الأستاذ " كمال جنبلاط "، المعلم في علم الحقيقة.

" غاية العلم هي معرفة الحقيقة الأخيرة للوجود". ج1 ص1 وموسوعة من العلم والمعرفة، بقلم الدكتور صالح زهر الدين. تحت عنوان :

{سيرة الشهيد كمال جنبلاط}

لنقل: إن لكل شيء حقيقته الذاتية، وجميع حقائق الأشياء تدل وتشير إلى حقيقة كلية واحدة، هي الحقيقية التي أرادها المعلم، وهي نحن في ذاتنا الحرة من كل قيد، هي الجوهر الغائي الذي يحرك الوجود من ثبات مطلق .. من علة الوجود .. إلى غايته.

وقد كان المعلم فلسفة في ذاته، والفلسفة حسب رأينا " وعي المعرفة "، إذاً لا بد أن تكون غاية العلم هي المعرفة، وغاية المعرفة هي الوعي، وغاية الوعي هي العقل .. والعقل هو وجه الحقيقة التي ينشدها الجميع..

يقول الكاتب:" من هنا كان لكمال جنبلاط موقف ونظرية، فقد شدد على أن العلم يجب أن يتوجه إلى الإنسان ويحقق إنسانية الإنسان. أما (إذا اقتصر إلى الوجه التطبيقي يكون خطراً على الإنسان وعلى الجماعة وعلى الحضارة". ص 31

opelkanal.com

إذا ما كان الإنسان هو الفاعل، لا بد أن يكون الفعل من أجله، ومن أجل إنسانيته، هنا يصبح البناء الإنساني في غاية الانسجام والوحدة مع حركة الوجود التي رأيناها " حركة شوق وهيام من أجل كمال صفاته".

وبما أن الإنسان من روح الوجود ومن صميمه؛ إذاً ،لا بد من معرفة الوجود معرفة جلية، بل لا بد من وعي الوجود ، من أجل أن تتوحد الحركة في صراط الغاية الإرادية إذا ما كان محركها عقل الوجود الجوهر.

هنا بقيت حركة الوعي في بوتقة الوجود الحقيقية مفقودة منذ أن وضعها الفكر فيما وراء الرؤية المعنوية، وخارج البحث كلياً. حيث راح الإنسان يفقد في كل زمن وسيلة من وسائل علاقاته مع كينونة الوجود وكينونته؛ وقد استحوذت ضجة المادة على كل شيء.

إن الديمقراطية التي حققها الفكر المبني على السلب؛ قد حققت ما في ذاتها من مفاهيم قائمة على السلب، كونها مبنية على أغراض ومصالح.

وقد تحقق الديمقراطية غاية الإنسان، حين يعي هذا الإنسان واجب الحياة ، ويعلم أنه رسالة عطاء ، ويستطيع أن يحقق بالعطاء ذاته ورسالته ووجوده وغاية الحياة وغايته معاً .

يستطيع الإنسان أن يحقق جنته الحقيقية، حين يعي أن الجنة الحقيقية هي في ذاته، وما عليه سوى رسم ما في ذاته من صور على صفحات الوجود الحق ، فيتحقق الوجود الحق وإنسان الحقيقة معاً.

فقد كان يريد جنبلاط بناء "نظرية شاملة للحياة والوجود" من خلال حزب سياسي .و هو يعلم أن مساحته السياسية صغيرة صغيرة في لبنان المحكوم طائفياً ولا يمكنها الاتساع.

جنبلاط يرفع مستوى النضال السياسي في لبنان إلى مواقع التحدي الواضح بوجه الجهل والفساد والأحلاف والمؤامرات حيث التقى في نهجه مع جمال عبد الناصر والوحدة بين سوريا ومصر، والتقى أيضاً مع منظومة عدم الانحياز وقادتها الكبار.

obeikandi.com

لكن الغاية الحقيقية من بحثنا هذا، إنما هي تلك الرحلة المبسوطة في ذاتها، فيما بين الذات والكينونة، كما هي رحلة مهيبة واجدة في صميمها شوق العاشق وتوق المعشوق.

يقول جنبلاط: " وعلى أي حال فقد كتبت أنا نفسي عن هيراقليطس، عملت فيه أكثر من ثماني سنوات وسأقوم بنشره قريباً".

ويقول أيضاً :" والدرزية هي ملة الوحدة الأساسية بين الأشياء والكائنات، إنها وحدة الكون الجوهرية في صيغته الروحية والطبيعية والفيزيقية في آن معاً، أي كما لو كانت العناصر ترى من ذات الخلفية ومن ذات الجوهر الباطن. ففي بدء الأشياء كلها، لم يكن الله والعالم والروح يشكلون إلا كلاً واحداً 0000 " ص 77

التوحيد، إنما هو توحيد الجوهر في بوتقته الغائية، والدرزية " لقب سلبي" أساسه " قاتلي الدَرَزي " ذاك السفير الذي نقض العهد فقتله الموحدون.

التوحيد ،إنما هو الانعتاق من الترابية الدنية، والتحقق في الوحدة الجوهرية الكلية، حيث تتحقق غاية الناشد والمنشود في حدائق الأبدية والإطلاق .

التوحيد هو أن نتعدى الفكرإلى العقل، والاختلاف إلى الوحدة، والمادة إلى الجوهر، والكيان إلى الكينونة، والرغبة إلى الإرادة، والأمة إلى الأممية، والحرب إلى السلام، والحب الجسدي إلى الحب الجوهر. أن نتعدى الخطأ والخطيئة ،أن نتحرر من جميع القيود حتى ننال الحرية الحقيقية، إذا ما كانت الحرية الحقيقية " الإنعتاق من جميع القيود " فالتوحيد هو {توحيد الذات الإنسانية في الذات الكلية من خلال الوعي} . أن الفكر قائم على الاختلاف،إذا ما كان لكل مصالحه الذاتية المختلفة وذات المنشأ الترابي، اختلاف عن الآخر، وهذا الاختلاف قد يؤدي إلى صراع ، والصراع يؤدي إلى حرب من أجل تلك المصالح المختلفة، لذا، فقد كان التاريخ تاريخ حرب أقامها الفكر من أجل امتلاك القوة التي أنتجت بفعله " شريعة الغاب".

التوحيد، إنما هو الاغتسال من أوحال لفكر بماء الجوهر، من أجل السمو إلى الجوهر الواحد، أي التجرد للحق والحقيقية بوعي غاية الحياة في هذا الوجود.

في التوحيد كلنا واحد، واحد ينشد الواحد، لأن الموحدين يعلمون أن الدين واحد لمعبود واحد، والذي وضع هذا الاختلاف، إنما هو الفكر، ذاك الذي دس في نصوص المذهب بعض العبارات الغريبة على المعتقد التوحيدي من أجل الاختلاف.

وقد تكون تجربة الشيخ الجليل " جمال الدين عبد الله التنوخي" في دمشق خير دليل لأنه كان يعلم، فالجميل الجميل أن ننسب المعتقد لمن يعلم، وليس لمن يجهل.

كلنا ننشد غاية إنما هي في نقطة بيكار الدائرة، هي الحقيقة الكلية الجوهرية المجردة التي لا يمكن الوصول إليها إلا بعقل مجرد. إذاً، نحن جميعنا بالوعي نتجه إلى نقطة بيكار الدائرة، وكلنا حب وسلام وإخوة وإيمان، لأن الذي كان يفتت شملنا قد زال منّا ومن الوجود، إن في زوال الفكر، يزول الاختلاف، وفي زوال المادة المتعلقة بالفكر، يزول الفكر أيضاً.

إن وعي الوحدة الجوهرية للوجود الحق، يضعنا في تلك البوتقة النورانية الشريفة حيث نصبح في علم الحقيقة، نصبح منها وإليها، معتوقين من جميع القيود، إذا ما كان الجوهر حراً أبداً، وكل ما عدى الجوهر، لا بد أن يكون خاضعاً إلى قيود.

حين قرأت فيثاغورس، وبوذا، وغاندي، والسيدالمسيح، والرسول الكريم، وهرمس وكنفشيوس، وزرادشت وجنبلاط ....ألخ. ورأيت أنهم واحد؛ علمت أن الذي يفرق بيننا هو الفكر. وعلمت أن الموحدين قد كشفوا لعبة الفكر المخادعة تلك.

التوحيد هو التجرد للجوهر الواحد، إذاً، لا داعي للتحزب، إذا ما كانت الغاية هي الوحدة الكلية لإنسانية تجردت عن المصالح والأغراض، واغتنت بالعلم والمعرفة والوعي، فوصلت إلى وحدة الكل في بوتقة جوهرية واحدة، إنما هي وحدة عقلية إرادية غائية حرة من جميع القيود، وحدة تنشد الواحد معل علة وجودها، تنشده بإرادته وبعلمه وبحكمته، وبنوره البار، وبجميع السبل المتسامية إلى الكمال.

إن الإنسان الذي يقطن في آخر المعمورة ويعلم، هو خيرإليّ من أخي الذي يقطن في جواري وهولا يعلم.ومن أجل ذلك أقول:إنني سوري الهوية؛ أممي العقل والروح والضمير. فالذي توَحد في جوهره، وأصبح نجماً ساطعاً في مدارالأبدية، ينير سبحات الوجود الهائم ، وينير ذاتي " هو معلمي الحقيقي ".

إننا نحترم ونقدر ونهيب بكل داعٍ إلى خير الإنسانية، ونجلّ الأديان والمذاهب والمعتقدات جميعها ، والقائمين عليها. نقول هذا لأننا نعلم أن الجميع يتجه إليه بكل جوارحه، بكل كله الجوهري.

ملاحظة: إن ما قدمناه عن التوحيد هو خارج البحث، وقد أتينا عليه للتعريف فقط.

" إن هدف الحياة هو تأمل العقل" أرسطو. نحن لسنا مع هذا القول، إذا ما كان التأمل هو من أجل غاية مهيبة هي " تحقيق غاية الحياة في الكمال الإنساني إرادياً.

وجنبلاط يصف شري أتمانندا وهو يتحدث إليه في مطار القاهرة فيقول:" ذلك أنه حين يجسد الحقيقة فإنه يشع بها... فعندما كنت أنظر إليه، فإن مرآه كان يتغير في كل ثانية كما تموج الصور التي تتعاقب فيه وتتتالى في أبدية ذاتها. كان يعكس حضور السرمد في هذا الدفق من التغير الحسي والعقلي والجسمي..." ص 78

نسأل لماذا هذا التصور؟ لنقل: إن لحظة مباركة قد جمعت وعي جنبلاط ووعي أتمانندا ، فترجم الوعي ذاته في لغة الجوهر.. فتجلت صور الحقيقة. ولو نظر آلاف من البشر إلى شري أتمانندا بعين الفكر لما قالوا عنه شيئاً، لأن أفكارهم لم تجد في هذا الرجل من أغراضها ومصالحها ما يلفت النظر.

إن عين الفكر تترجم رغبات البشر، وعين العقل تترجم غاياتهم السامية. لذلك لا يجد في جنبلاط سوى عقبة ، من هو في مواقع الرغبات .

يقول جنبلاط:"فأنا أمقت الانتماء إلى جماعة مقفلة سواء كانت دينية أم غير ذلك. وأنا أعتقد إن الإنسان من أرومة الله وعليه أن يسعى وراء ماهية الحقيقة عبر

شتى الديانات، ولكن بأن يتجاوزها جميعاً.وهذه الطريقة أنموذجية في التفكير لدى الدروز، فهم غير متزمتين ولا يتمسكون بالشكليات".ص81

لماذا يبدي جنبلاط هذا الرأي؟ فمن أجل أن نستوي على جادة الحقيقة، لا بد من النظر ملياً إلى المراحل الزمنية التي أنزلت خلالها الأديان وتشعبت فيها المعتقدات، فنجد الجواب الذي أقام عليه مسيرته الصوفية تلك.

فقد يكون على حق ذاك الرجل الذي يضرب جسده بالحديد في كل ذكرى لمقتل الحسين (ر) وتسيل الدماء احتجاجاً وتيمناً.

وبكل أمانة وصدق وثقة ومودة، أطلب وأرجو وأتمنى"أن يكون ذلك الحدث عبرة لنا جميعاً، بأن نتفق على الحب الجوهر الذي غرسه الدين الحنيف في صدورنا، وألاّ نقتتل أبداً، أن نكون رسالة حب وسلام، وأن نرحم أجسادنا التي ليس لها جرم في ذلك، وأن نترجم حكمة الأولين بما في أفئدتنا من حب، وبما في كينونتنا من عقل".

فقد كان بوذا رسولاً للإنسانية،وقال رسول الإنسانية آنذاك :" خُلق الرجل للقتال" وقد أجبت بوذا بقولي : لا يا سيدي ، فقد خُلق الإنسان من أجل بناء إنسانيته بالحب والصدق والسلام،من أجل بناء الحرية،من أجل الحياة ".حيث إن بوذا قال في عصره ما وجب عليه القول، ومن واجبي أن أقول في هذا العصر ما يجب من الكلام.

إن التوحيد في جوهره هو الارتقاء من المادة إلى الجوهر، ومن الأغراض إلى الغايات، ومن الفكر إلى العقل، ومن الفردية إلى الكلية، ومن الازدواجية إلى الوحدة.

إن العالم كله من الله وإلى الله، من الحقيقية وإلى الحقيقة، من الوجود الجوهر إلى الوجود الجوهر. والتوحيد هو التجرد إلى تلك الغاية، إذا ما كانت غاية كل غاية.

فأنت أخي بالله أينما كنت؛ وأن الله هو الحب الجوهر، وفي توحيد الحب فينا؛ تتوحد الغايات جميعها في غاية الغايات جميعها، وهي كمال إنسانيتنا بالله تعالى.

فالتوحيد، إنما هو غاية الإنسان،وغاية الوجود، وغاية الناشد والمنشود في رياض الأبدية . فالعيب أن أنظرك بعين جهلي، وأنت تعاقب بي جهلي.

أنت الموحد إذا ما توحد بك الظاهر مع العقل والنفس والروح والضمير من خلال الوعي في بوتقة جوهرية واحدة توحيداً عقلياً إرادياً . في الوعي تتجلى وحدة إرادتنا.

هنا تعلم أن الدين كان وسيلة إرادية من أجل تحقيق غاية عقلية إرادية يحققها الوعي الذي ينعتق من جميع القيود ، لتصبح حراً أبداً ، سيداً أبداً، موجوداً أبدياً.

فحين يبقى البشر يتكلمون بظاهر الدين حسب مشيئة الفكر،والدين كان في أزمنة الاختلاف ؛لا بد أنهم يتحدثون عن الاختلاف في لسان الاختلاف،وليس عن الدين في جوهر الدين. فالأنبياء والرسل جميعهم قالوا بالحب والسلام، بينما البشر جميعهم راحوا يقتتلون باسم الدين والدين براء مما يفعلون. لنقل: إن التوحيد في جوهره هو مرتكز الديانات جميعها، والحقيقة هي مرتكز الديانات جميعها.

ويرى جنبلاط "أن الموحدين الدروز لم يغادروا فلسطين،لأنهم مؤمنون بمعتقدهم وبأرضهم وبقدرهم،ولوأن جميع المواطنون العرب تمسكوا بأرضهم آنذاك، بدلاً من الهرب،إذاً لما كان هناك مشكلة إسرائيل، لأنهم ما كانوا سيتركون هذا الفراغ الذي يبلغ حجمه 1200000 إنسان. كما أن الفلسطينيين كانوا سيشاركون بسهولة وعلى مستوى واحد في اقتصاد إسرائيل وبالتالي في السلطة السياسية. كانوا سيشاركون في الحكومة ويكونون أقلية قوية فعالة في البرلمان،أي ما يوازي أغلبية صغيرة".ص83 يقول الكاتب "المعلّم تراث قائم بذاته" فقد "رأيتُ أن جنبلاط كوكباً دريّاً استلهم الثرَّيا فأشرق بنورها على الوجود فابتسم الوجود بالنور والحكمة والسلام ،وابتسم كل من سطع في ذاته ذلك النور".

يقول الكاتب عن جنبلاط : " آمن منذ البدء ، بأن حرية الكلمة هي المقدمة الأولى للديمقراطية.. ذلك لأن الإنجيل قال: في البدء كانت الكلمة.. كذلك كانت الكلمة الأولى في القرآن الكريم : إقرأ..

قدّس حرية الرأي، وبإيمان أقوى من الفولاذ ،طبّق عملياً قول فولتير : قد أخالفك الرأي، لكنّي مستعد أن أموت دفاعاً عن حرية رأيك "..

كان رجل أخلاق ومباديء وحكمة عزّ نظيره في هذا الكوكب .. غاص في بحر العلوم الواسع، وأدرك لجته الحقيقية. وعَصَرَ حضارات البشرية في "ميثاق "هو بمثابة النسغ في شجرة الحياة..

وفي عملية بحثه عن الحقيقة، احترف " ركن الصدق" .. وقلما ترك علماً دون أن يطرق بابه، فنبع معلماً.

وعندما اغتيل، اغتيل عالماً،وفيلسوفاً، وسياسياً،وحكيماً ومفكراً وموحداً،وكبيراً..

ورغم ذلك، بقي فكره وعصارة دماغه ، نسغاً صافياً لكل المتعطشين إلى ولوج باب الحياة نحو الخلود.

بقيت مؤلفاته المتنوعة الشاهد الأكبر في محكمة التاريخ.. بقي ما كتب، وما كُتب عنه، جزءاً من تراث أمّة عجزت كوارث السنين والدهور عن إزالة أثره ومحوه من قاموس الزمن.

حوالي أربعين كتاباً في مجموعة لا يستغني عنها أيُّ مثقف وأيُّ كاتب وأيُّ رجل علم وفكر وسياسة . كما تشكل الغذاء الفكري والروحي لكل الكادحين والفقراء في زمن القهر والمجاعة.

- نال إجازة الحقوق سنة 1940
- عّين محامياً رسمياً للدولة اللبنانية سنة 1941
- انتخب نائباً لجبل لبنان في أيلول من عام 1943
- عُين وزيراً للاقتصاد الوطني والزراعة والشؤون الاجتماعية سنة 1946
- ساعد في إنشاء الحركة الاجتماعية اللبنانية .

obeikandi.com

- في 17 آذار 1949 أسس الحزب التقدمي الاشتراكي رسمياً .
- أسس في نيسان 1951 الجبهة الاشتراكية الوطنية لمحاربة الفساد الداخلي.
- دعا باسم حزبه إلى مؤتمر الأحزاب الاشتراكية الذي عُقد في بيروت 1951.
- فاز سنة 1951بالمقعد النيابي عن جبل لبنان للمرة الثالثة.
- مثّل لبنان في مؤتمر حرية الثقافة الذي عُقد في سويسرا حزيران 1952.
- عقد في آب 1952 مؤتمراً وطنياً في دير القمر باسم الجبهة الاشتراكية .
- عام 1953 انتخب نائباً للمرة الرابعة.
- أسس الجبهة الشعبية المعارضة لعهد كميل شمعون 1953.
- شارك في مؤتمر الأحزاب العربية المعارضة الذي عقد في بيروت 1954.
- ساند كفاح مصر ضد العدوان الثلاثي سنة 1956.
- أسهم بالعمل المباشر في اعمار ما تهدم في زلزال 1956 .
- قاد الانتفاضة الوطنية العارمة عامي 1957 – 1958 سياسياً وعسكرياً.
- تولى وزارة التربية الوطنية 1960 – 1961 .
- تولى وزارة الأشغال العامة 1960 – 1961 .
- تولى وزارة الداخلية 1960 – 1964 .
- وضع نواة جبهة الأحزاب والقوى التقدمية والشخصيات الوطنية 1965 .
- مّثل لبنان في مؤتمر التضامن الآسيوي الإفريقي 1966 .
- ترأس وفداً برلمانياً وشعبياً إلى الصين عام 1966 .
- وقف إلى جانب مصر وسوريا والأردن في مواجهة العدوان الإسرائيلي 1967 .
- تولى وزارة الداخلية 1969 – 1970 .
- قّلد وسام لينين للسلام 1972 .
- ترأس اللجنة العربية لتخليد جمال عبد الناصر 1973 .
- انتخب بالإجماع أميناً عاماً للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية 1973 .

obeikandl.com

- تصدّى في عامي 1975 – 1976 للمؤامرة الإسرائيلية – الانعزالية على لبنان وقاد نضال الحركة الوطنية اللبنانية 1975 .
- كان على موعد مع الشهادة يوم 16 آذار 1977 .

حاز على أوسمة من عدة دول أهمها :

- الجمهورية العربية المتحدة.
- الجمهورية العربية السورية.
- جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.
- الجمهورية الجزائرية .
- المملكة المغربية .
- الإتحاد السوفييتي .
- الهند .

كتب أكثر من 1200 افتتاحية صحفية باللغتين العربية والفرنسية.

عقد مئات المؤتمرات الصحفية، وألقى مئات الخطب السياسية في مؤتمرات وطنية وعربية وعالمية ، وفي المجلس النيابي.

أغنى المكتبة العربية والعالمية بمؤلفاته السياسية والفلسفية والأدبية ، نشر منها حتى تاريخه أكثر من خمسة وثلاثين كتاباً 0 " ص 223

بديع هو قول فولتير ..لنقل: {حرروا الكلمة من الخضوع ،من أجل سيادة الرأي}.

وفي سيرته الفكرية يقول الكاتب:"السيرة الفكرية هي تعريف بتراث كمال جنبلاط الفكري، الذي يزيد على المئة والخمسين ألف صفحة من الحجم الكبير.

إلى البؤساء الذين تنبض وتغمر في نفوسهم الفضيلة العطشى إلى العدالة،والجياع إلى ملك الحق، والمتمردين في سبيل الحياة، إلى الذين يطلبون المعرفة، إلى الذين يريدون التحرر، إلى أبناء النور ... مجموعة الحياة والنور .

من كتاب الحب والنور.

obeikandi.com

بعضهم يستجدي الألم ، نفسه بالشقاء، لكي يصل، ولكن طريق الفرح هي أكمل وأجدى .. هذه لمحات من توجهات تعبدي وتطهيري في مسار العروج إليه. جاءت كما هي دون رغبة أو طلب .. لست بشاعر، ولكنه الشعور، أحياناً، هو الذي يشعر.

من كتاب فرح

" وكم من محبة أثمرتها شجرة المعرفة، وأية محبة تعلو الحقيقة وتسمو عليها. فإذا عرفت، تعبّدها العارف وتمتلكه.

ثورة في عالم الإنسان

فهو في الحق " فراشة الوحي فوق النار تبعثها 0000 بموتها يقظة من يقظة النور وهو" الصوت المشع للحق الخالد، حيث يظهر الوعي - النور " . هو : لبناني المولد ، عربي الهوية والانتماء ، عالمي الأفق .. وهنا تكمن إنسانيته الحقة. هو كمال جنبلاط " ص 235

ونبقى نتطلع علواً ، نستلهم الحرف وتوقه إلى كمال ذاته بالكلمة، والكلمة كانت الأولى نسجتها حروف من الأزل، من أجل أن تشرق أبدياً.

ونبقى في توق الكلمة إلى مُعلها، وكأننا بها مجرد إشارة منها إلى مُعلها، علنا نعقل السبيل إليه، وفي الأين الذي ننشد ، نرى دليلاً وإشارة خطها قلم المعلم، فنتطلع علواً، حتى صار ذاك العلو هو نشدنا.

في الحين كنا نتأمل موقع الحرف من الكلمة، كان المعلم يتأمل العقل بنور الكلمة التي استوت فيها تأملاته.

وبعد أن زفّت عرائسها الأعوام وذهبت مع الريح، علمتُ أنني لن أكون بعض من المعلم كما كنت أنشد، غير أن ذاتي قد ناشدتني أن أكون هي .. ومنها أنشد معزوفتي على وترٍ يحقق لها نغمها هي من أجل وحدة النشد، ووحدة النغم، حتى يتجلى اللقاء مع كل من ينشد معزوفة الذات، حتى المعلم.

فلم يكن يسألنا الزمان عن نشدٍ وعن نغمٍ، حين ذهبنا عنه إلى عالم حرٍّ يشتاق إلى جمال الروح كشوق الروح إلى جمال الحرية ، إلى جمال النشد والنغم ..

بلى، لقد مات تاريخ الناس جلهم مع موتهم،لأنهم أفكار فانية. غير أن تاريخ كمال جنبلاط ؛ بقي مشرقاً أبداً، لأنه .. وعي .. لأنه عقل .. لأنه جوهر، والجوهر لا يفنى ولا يموت.

فقد أبدع ذلك المعلم لحناً يتناغم مع لحن الوجود، فصار اللحن نغماً تعزفه قيثارة الوجود ، تعزفه أبدياً.

كمال جنبلاط يختلف مع والدته التي تريد تجسيد زعامة نجلها العائد من فرنسا بشهادتي علم النفس وعلم الأخلاق وناقلاً ملفاً جديداً إلى كلية الحقوق. هي تريد له زعامة تقليدية في لبنان، حيث إن العائلة الجنبلاطية الإقطاعية والارستقراطية لم يكن يناسبها ميول وريثها الوحيد إلى الاشتراكية. وهو يجيب بقوله : " أنا لست حجراً مزخرفاً في قصر المختارة، بل حجراً أساساً لبناء مجتمع مناضل في سبيل الأجيال القادمة ".

وأدرك جنبلاط،من المنطق النقدي والعقلاني،النظم الاجتماعية المختلفة سياسياً، اقتصاديا وأخلاقياً، وبدأ يطالب بتغيير النظم التي تبدو غير منطقية.

" لم تقم حتى الساعة في صلب الشعب اللبناني حركة سياسية تقدمية اجتماعية شاملة وعميقة من حيث نظرتها الفلسفية للوجود، تهدف إلى إذاعة الأسس الفكرية الصحيحة للإصلاح المنشود وتعميقها وجعل الشعب بأسره يعتنقها ويعمل على تحقيقها ".ص 34

"فقد خصص ريع المطحنة في قصر المختارة (75 - و 100) ليرة ذهبيه إلى فقراء المختارة .

- أسس ورش العمل لتشغيل العاطلين عن العمل.
- قام بطبع نقد على كرتون بقيمة 5 ، 10، 25قرش – ليرة ذهب .
- نظّم نقل الحبوب من فلسطين ولبنان إلى الشوف.
- وضع بالتعاون مع الياس رزق وعبدو غانم (مشروع حماية العصافير ومشروع تحسين أوضاع الحبوب).
- وزع على فلاحين سبلين مئة هكتار من أراضيها.

كان هذا التوزيع تعبيراً عن شعوره بآلام الناس " ص 35

رحلة بديعة إلى حدائق النفس

بديعة هي حدائق النفس.. تلك المتصورة في وجود .. هو في ذاته أغنى من التصور .. إذا ما كان هو الجوهر الذي أبدع الصورة الحقيقية.تلك الصورة التي آلفت مراسي الوجود بفعل الشوق..لتشكل مع الهيولى وحدة الكون والمكنون.

هي حدائق النفس .. غرس الحياة في الوجود..هي هي غرس الأزل..هي الأبدية والخلود ، حيث هي من الأزل .. من ذاته الجوهرية ..

وفي غبطة البسط والفرح..نحن وعبق الزهور،وأطياف الأثير .. وترنيم أنفاس العطور..في وجود هو في ذاته نغمة شوق وعبير..نفحة حب في الحنايا والصدور .. نحن هو في روعة الضمير .. نحن الحدائق والزهور .. نحن نفحات الأثير.. وأنفاس الورود والعطور .. ونحن زراع الأماني كلها .. وباذرون الحب في الصدور ..

ومن غير زمان ومكان .. ذهبت بنا أمانينا على متن أشواقنا ، إلى حديقة الحدائق هناك بين دوحات غريبة ، حط هيام رحالها.. فالكل هنا في غبطة البسط .. في غبطة النشد.. مع ترانيم الأزل .. وأنغام سكرى بخمرة الحقيقة ..

هنا يقف الزمان مشدوهاً من علو المكان .. هنا نرى المكان فسيح الجنان ، حيث يطيب المراح والرواح .. وترقى البصائر إلى عبارة متوهجة بالنور .. عبارة تقول: {هذه صومعة الأنبياء }.. وتسبح طيور الجنة على أنغام السلام .. وآية تتجلى بذاتها تتجلى من جوهر ذاته .. { إن المتقين في جنات وعيون دخلوها بسلام آمنين } ..

ولا من جواب.. ولا من خبر عن فلاسفة أوروبا جُلهم.. فخجلنا من تكرار السؤال عنهم .. حين علمنا أن هذا المكان لا يتسع لفلسفتهم ..

وقف أوميروس وناداناً بجمال الكلمة وعلوها قائلاً : تمهلوا أيها الغرباء .. فما هو غرضكم هنا ؟

- أجبناه بعزيمة الطالب المريد : نحن طلاب حكمة.. يا معلم الحكمة ..
- قال : الحكمة هي أن تدرك صورة العلم بالعمل.. وأن العمى خير من الجهل.

obeikandl.com

- زدنا أيها المعلم ..
- قال:العتاب حياة المودة..قارن أهل الخير تكن منهم..وباين أهل الشر تبن عنهم.

وقد رحّب بنا أقلبيوس ثم قال لنا .. قد يسرّ عالمنا هذا أن يستنير بشمس عصريتكم أيها الغرباء.. فهل تخبرونا عنكم .. علنا نتزود منكم .. ؟

- أجبناه بقولنا: إن غايتنا أيها الحكيم..أن نعرف ماهية تلك الأنوار .. المشرقة في هذه الديار .. نريد معرفة ماهية النفس .. نريد للنفس قرار ..
- تبسم أقلبيوس وقال في بشاشة الحكيم .. مشيراً إلى من غمرت دموعه حدائق النفس ورياضها.. ها هو معلمنا أفلاطون الذي سوف يجيب على ما تريدون ..

-وقف الشيخ الجليل .. وقد غمرتنا منه إبتسامته المهيبة ثم قال : النفس الإنسانية ذات جوهرية لأنها جوهر بسيط أحادي الذات لا ينقسم إلى مادة وصورة ولا إلى قوة وفعل وإنما هي مبدأ بسيط والبسيط لا يفسد.... ثم راح يعلل ذلك بقوله: فدليل جوهريتها خلودها ، ودليل خلودها أبديتها..ودليل أبديتها أنها جوهرة إلهية دائمة النور.. ثم قال في لسان غبطته.. وأدعكم مع معلمنا وحكيمنا سقراط من أجل أن تتزودوا من حكمته ..

- نحن والبسط والغبطة والسمو والحكمة ..بين يدي معلم الحكمة سقراط الحكيم، ليقول لنا بلسان المحبة : فإن كمالها { أي النفس } الخاص بها أن تصير عالماً عقلياً مرتسماً فيها صورة الكل والنظام المعقول في الكل ، والخير الفائض في الكل مبتدأً من مبدأ الكل ، سالكاً إلى الجواهر الشريفة ..
- وحين كنّا في بسط وغبطة .. كان الواسطي يسكب لنا من حكمته كؤوساً ... معطرات ويقول : خلق الله درة صافية فلاحظها بعين الجلال فذابت حياء منه فسالت ...

نحن هنا مع نفس سقراط وأفلاطون وأرسطو .. النفس الجوهرية .. الصورة المشرقة من مكنون الوجود .. الذات الإلهية المتجلية كمشكاة نور .. تنير سبحات هذا الوجود .. بنور الأزل .

لكن المفارقة هنا هي في قول الدكتور فيصل عباس في موسوعته الفلسفية ج 5 ص 91: " كان ديكارت من عام 1619 أخذ يستشف إمكانية تغيير جميع العلوم، بمفرده عن طريق النور الطبيعي للعقل ، ويُعد ديكارت أب الفلسفة الحديثة بإخضاعه إدراك الوجود لأولوية الكائن المفكر"..

إن ما أراده أرسطو في نظريته { الإنسان صورة محركة .. ومادة متحركة } ، أن المادة تحقق إرادة الصورة من أجل إلغاء الازدواجية .. والسمو إلى الوحدانية.. إلى كمال الوجود الإنساني .. إلى كمال صفاته الإنسانية ..

ولا بد من أن تكون الصورة جوهرية .. إذا ما كانت من روح الله حسب الآية الكريمة { ثم سواه ونفخ فيه من روحه } السجدة – 9 ..

إن أشرف السبل إلى تلك الغاية هي .. المعرفة .. معرفة جوهر النفس .. بنور جوهرها .. وليس بنور الفكر الذي لا يرى سوى نور المادة خليلته ..

إن النفس جوهرة مكنونة قائمة بذاتها .. مشرقة من الأزل على الوجود المادي من خلال إتحادها بالهيولى ..وبفعل الشوق .. والسبيل إليها معرفة سقراط .. وليس معرفة بيكون التي تعتمد على القوة والسلطة كما جاء في { الموسوعة الكبرى لعلم النفس والتربية } للدكتور فيصل عباس الذي يقول : { المعرفة هي القوة ، والقوة هي المعرفة ، والمعرفة هي السلطة } ج 1 ص 8

نحن عرفنا ان سقراط معرفة.. وأن هتلر قوة.. وشتان فيما بين القوة والمعرفة.

أبدع لنا ديكارت عقلاً طبيعياً من فكره الميمون .. ووضع لنا هذا العقل بالرأس من أجل استخدامه بكل عملية حربية من قِبل الفكر،ووضع لنا الكاتب من بين علوم النفس { علم النفس الحربي } ص 46 ... .. لنقل : إن النفس من صميم جوهر العقل.. من صميم الوجود الواحد..واحدة من

صميم الجوهر الواحد..من صميم الحب المحض.. والسلام المحض .. والوعي المحض.. بريئة من دماء الشعوب .. براءة الفلسفة من بيكون وديكارت وأفكارهم المختلفة التي أسست عصر النهضة القائم على استعمار الشعوب وفقرها وإذلالها .

إذا ما كان الجوهر واحداً .. مبثوثاً بكل ثنيات الوجود .. ومحركاً لهذا الوجود من ثبات مطلق..هو في علو..لا يطاله الاستخدام.. ولا تناله القوة.. ولا يدركه الفكر محرك الحواس الخمس ..{ أسدد الخمس الكوى ، تعرف مسكن العلة } سقراط..

إن الذين عملوا على إسقاط الفلسفة إلى حيث أغراضهم ومصالحهم.. *إلى* حيث هم عرفوا أنهم سقطوا .. في حين بقيت فلسفة الوجود الجوهر متألقة في علوها .. لا ينالها إلا من حققها في ذاته .. وحققته في ذاتها ..

نحن لا نرى علماً للنفس .. إنما نرى معرفة السبل إليها .. فالنفس مستقلة عن الشخصية التي هي حقيقة البحث لعلماء قالوا أنهم علماء النفس وهم يجهلونها .. إذا ما قالوا أنهم يبحثون عن الجانب السيكولوجي للنفس وهي بريئة من هذا الجانب، وأنهم قالوا عن إبتعادهم عن النفس فيما وراء الطبيعة .. وهذا يعني أنهم أقاموا صنماً لأفكارهم .. وراحوا يعبدون ذلك الصنم ..

ونحن قلنا في كتابنا .. { الحقيقة ومرآة العقل } ، لا يوجد علم للنفس ، بل يوجد علم اجتماع، إذا ما كان الفرد ابن مجتمعه.. ينشأ حسب وعيه لواجب الحياة .. فإذا انتحر فرد في مجتمع ما .. يكون ذلك المجتمع هو القاتل .. حسب جبران خليل جبران ..

فإذا ما كانت المعرفة قوة وسطوة وقائدها فكر بيكون الذي تحدث عن أوهام العقل ، وإلغاء الكنيسة ، وسيطرة الإنسان على الطبيعة ، والنزعة التجريبية عما هو جوهري .. والمجردات من خلق البشر وما إلى ذلك .. نقول : إن هذه جميعها تحقق شروط شريعة الغاب القائمة حالياً على أنقاض تلك الفلسفة العقيمة ..

إن تلك القوة الغاشمة ، قد دمرّت الإنسان والحياة والطبيعة وجعلت كل ما يحيط بهذا الإنسان عدواً له ..

فكان من الواجب .. معرفة واجب الحياة .. معرفة الحقيقة .. معرفة الذات التي هي ماهية الوجود.. ومعرفة السبل إليها..من أجل عقلها.. والسمو بالحياة من خلال وعي الحياة .. من أجل تحقيق الغاية الإنسانية .. في كمال جوهرها .. في تحقيق البسط والسعادة والفرح ..

الجزء الثاني من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

"إن السياسة هي (علم السيادة) و (سيدة العلوم). أرسطو . بلى، إذا ما كانت قائمة على الوعي،ومعتوقة من المصلحة وناشدة غاية الوجود. لأن المصلحة خاضعة أبداً ، والسيادة قد تعدت كل أسباب الخضوع.

إن سقراط السيد قال للملك : " ليس لسقراط حاجة إلى حجارة الأرض وهشيم النبت ولعاب الدود. أعلم أيها الملك : الذي يحتاج إليه سقراط هو معه حيث توجه".

فالسيد ، إنما هو ذاك الطائر الذي قال لي:إن حبتين قد تشبعاني أيها الإنسان، وأنت لا يشبعك شيئاً ،لتنام كل يوم على عزاء وتنهض على عزاء جديد .. وخوف ووجل.

والسياسة في نظر جنبلاط، إنما هي أخلاق ومبادىء " إنها مسلك شريف لأن لها علاقة بقيادة الرجال وتوجيههم " كما جاء في " أدب الحياة ".

ويرى أرسطو " أن أسوأ ما يصاب به شعب هو أن يُحكم ممَّن هم أسوأ منه"، ويؤكد المعلم كمال جنبلاط أن " السياسة لا يجوز أن تمارس أو يُنظر إليها وكأنها كنيسة من نوع جديد. إنها علم وفنّ في آن واحد ... وهي في معناها تربية الجماهير وتعويدها على الطريق الأفضل والمسلك الأشرف ".